

## المحاضرة الرابعة اصول الدعوة المرحلة الثالثة

### رابعاً: التواضع

#### التكبر حماقة وجهل

٣٩٨- التكبر حماقة وجهل ودليل قاطع على جهل المتكبر بربه وبنفسه، فلو عرف ربه لعلم أن الكبرياء لله وحده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل "العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينارعني في واحد منهما فقد عذبتة" [12] ولو عرف المتكبر نفسه وان أوله نطفة قذرة وآخره جيفة قذرة لخلج من نفسه ووقف عند حده قال محمد بن الحسين بن علي كما ذكر صاحب "الاحياء": ما دخل قلب امرئ شيء من التكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أكثر.

#### التواضع

التواضع: ضد الكبر وهو ثمرة المعرفة بالله وبالنفس فلا يمكن أبداً أن يتكبر ولا يتواضع إنسان عرف ربه وعرف قدر نفسه، وعلى هذا فإذا كان المتكبر جاهلاً بربه فالتواضع عارف بربه، وإذا كان المتكبر محتقراً غيره يراهم كالذباب وكالعبيد فإن المتواضع يفقه جيداً قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه "لا يحتقرن أحد أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير". وإذا كان المتكبر يستتكف عن مجالسة الصالحين والفقراء والضعفاء بالرغم من أن أحدهم يعدل ملء الأرض من أمثاله فإن المتواضع يفقه جيداً معنى قوله تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾ وقد قال المفسرون في أسباب نزولها ان قريشاً قالت للرسول صلى الله عليه وسلم: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء من ضعفاء المسلمين مثل صهيب وعمار وبلال وخباب فاطردهم عنك ولا تبقيهم في مجلسك إذا دخلنا عليك، فإذا فرغنا وخرجنا فادخلهم إن شئت. فأنزل تعالى هذه الآية واتبعها بآية عن أولئك المتكبرين المتعجرفين الذين طلبوا طرد الضعفاء من مجلس رسول الله فقال تعالى عنهم: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ [13]. ويفقه المتواضع جيداً معنى قول الله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ وإذا كان المتكبر يجحد الحق ويرده ولا يذعن له فإن المسلم المتواضع يفقه جيداً معنى قول العارف المتواضع الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى وقد سئل عن التواضع فقال: التواضع أن تخضع للحق وتتقاد له ولو سمعته من أجهل الناس قبلته.

#### خامساً: المخالطة

المخالطة لا بد منها فإن الانسان اجتماعي بطبعه لا يستطيع العيش بمفرده ولو استطاعه لكان أمراً شاذاً لا يستطيع جميع الناس متابعتة عليه. هذا في أمور الدنيا وحوادثها أما بالنسبة لأمر الدين فكذلك الحال فإن من فرائض الإسلام ومستحباته ما لا يمكن تأديته إلا بالمخالطة مع الناس

وتعاونهم، مثل صلاة الجمعة والعيدين، وتشجيع الجنائز وعبادة المرضى وتعلم أمور الدين وتعليمها الى غير ذلك من المطلوبات التي تستلزم المخالطة.

### المخالطة واجبة على الداعي

٤٠٩- الدعوة الى الله من وجائب الإسلام ومن وسائلها مخالطة الناس فتكون المخالطة واجبة لأن ما لا يؤدي الواجب إلا به فهو واجب، والواقع أن طبيعة الإسلام تقتضي المخالطة، فالإسلام ليس معنى خاصاً بالفرد بل هو أيضاً عمل المسلم خارج نفسه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أن أكرمه الله بالنبوة وأمره بالتبليغ عاش مع الناس وخالطهم وغشي مجالسهم يدعوهم الى الله ويحذرهم مما هم فيه وكذلك فعل أصحابه الكرام خالطوا الناس وبنوا فيهم ما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم والدين. وما روي عن بعض التابعين من استحباب العزلة وكراهية المخالطة فهو أمر يتعلق بأحوال طارئة وظروف استثنائية فليس ما ذكروه هو القاعدة التي يستهدي بها المسلمون من بعدهم لأن وجوب الدعوة الى الله أمر ثابت في الشرع، والمخالطة هي المقدمة الى الدعوة. فلا يمكن التخلي عنها. بل إن هذا الوجوب أصبح أشد في زماننا من أي زمان مضى، لما غشي البشر من غاشية رهيبية قاسية من المادية الصماء السوداء التي حجبت عنهم أنوار الحق وقطعت صلاتهم بالله عز وجل، مما جعل لزاماً على كل مسلم أن يسهم في الدعوة الى الله بقدر طاقته وبأي نوع من أنواع القدرة يستطيعه وهذا يستلزم مخالطة الناس ليدعوهم الى الله.